



كل الفضائيات ..

كل الفضائيات، عربية وأجنبية، بل وكل وسائل الإعلام من صحف وإذاعات وشبكات إعلام، كانت هذا الأسبوع على موعد مع العراق في أعقاب نشر صور عمليات التعذيب والإهانة التي تلقاها معتقلون عراقيون على أيدي الجنديين الأميركيين والريطانيين في العراق. ويرغم اختلاف النيات، أجمع الكل على أن ما جرى في سجن أبي غريب والبصرة كان بشعا ولا إنسانيا ويدخل في إطار جرائم الحرب خاصة وإن القانون الدولي يلزم سلطات الاحتلال بضوابط واضحة يشكل تخيلها خرقا لهذا القانون. وسارع الرئيس الأمريكي إلى التعبير عن اشمئزازه وتووني بلير إلى الأعراب عن الصدمة ووعده الجميع بالتحقيق ومعاقبة الجناة. وصفت إحدى

الفضائيات ما يحدث بأنه "المسكوت عنه في العراق"

متسائلة إذا كان التقاط هذه الصور قد تم استثناء من



المعامل به يمنع التصوير داخل المعتقلات، فما أدراك بأن ما رأيانه هو حالة استثنائية وليس القاعدة في التعامل مع العراقيين؟ بدأت تداعيات القضية تتسع وامتألت البرامج الإخبارية في الفضائيات والصحف والمجلات العالمية بأخبار المعتقلات في العراق وما يجري خلف أسوارها. وبدأت بعض الفضائيات العربية، وبالتحديد قنوات (أبو ظبي) والجزيرة والعربية بتضييف معتقلين سابقين تحدثوا عن جرائم التعذيب والإهانة والاعتصاب التي تعرضوا لها حتى أن أحدهم (استضافته العربية) وهو يروي ذكرياته عما حدث له لم يستطع إكمال حديثه فأجهش بالبكاء أمام الكاميرا فاحترمت الكاميرا عذباته وتوقفت عن التصوير وما زالت القضية في بدايتها..

الجزيرة

منذ سقوط نظام صدام حسين والقنوات الفضائية العربية تركز اهتمامها على العراق. وتأتي الجزيرة في مقدمة هذه القنوات التي ركزت اهتماما استثنائيا ملحوظا على ما يجري في العراق وهو امر مشروع تماما. فالإعلام يجري وراء الحدث الساخن، والمتغيرات الهائلة التي تحدث هنا لابد وأن تكون محط انظار الإعلاميين. ومشهود للجزيرة دأبها المتميز على ملاحضة الحدث العراقي بنشاط مكتبها في بغداد الذي غطى بالصورة الحية كل يوم من أيام الحرب القصيرة ثم أخذ يلاحق التطورات يوما بيوم. ولم تأل مكاتبها في قطر جهدا في تضييف (المحللين والسياسيين والخبراء الاستراتيجيين) وبعض بقايا النظام الذين فروا إلى الدول المجاورة ومنها قطر ليتحدث كل منهم عن رؤيته لما يجري على أرض العراق. ودخلت الجزيرة في صراعات متكررة سواء مع الإدارة

الأميركية أو مجلس الحكم اللذين راوا أن الجزيرة قد تخطت حدود مهمة الإعلام إلى التحريض على الفتنة وتآليب القوى السياسية بعضها على البعض الآخر. وجاءت أحداث الفلوجة وأرسلت الجزيرة طاقمها ليعطي الحدث الساخن، وكان هناك مراسل وكاميرا في كل جزء من أجزاء هذه المدينة الصغيرة ليغطي بالصورة والتعليق ما يجري هناك ويضيف ومشهود للجزيرة دأبها المتميز على ملاحضة الحدث العراقي بنشاط مكتبها في بغداد الذي غطى بالصورة الحية كل يوم من أيام الحرب القصيرة ثم أخذ يلاحق التطورات يوما بيوم. ولم تأل مكاتبها في قطر جهدا في تضييف (المحللين والسياسيين والخبراء الاستراتيجيين) وبعض بقايا النظام الذين فروا إلى الدول المجاورة ومنها قطر ليتحدث كل منهم عن رؤيته لما يجري على أرض العراق. ودخلت الجزيرة في صراعات متكررة سواء مع الإدارة



BBC

تحت هذا العنوان عرضت قناة BBC التلفزيونية فيلما وثائقيا عن اطفال العراق اصبحو قتله وهم فى اعمار ١٢-٨ سنة والقتل هنا ليس قتل فرديا انما مشاركته في معارك شرسة راح ضحيتها مئات الالوف الذين قتلوا بطرق غاية فى البشاعة . وبعد انتهاء المارك واجهت الحكومات المعنية ومعها الامم المتحدة مشكلة التعامل مع الوف الاطفال المتهمين بجرائم الابداء الجماعية

كيف يمكن التعامل مع طفل كان يقتل يوميا مامعدله عشرة اشخاص مستخدما الفاس والسكين او الحرق حتى الموت؟ كان احد الحلول هو ادخال هؤلاء الاطفال الذين اصبحو اليوم فى سن المراهقة الى معسكرات إعادة تأهيل بعد اجراء محاكمات سريعة وشكلية لهم . فى هذه المعسكرات يتلقون مبادئ التعليم ويتعلمون حرفا تساعدهم في مستقبل حياتهم ويخضعون لمساعدة علماء نفس يجالونون

كيف يمكن التعامل مع طفل كان يقتل يوميا مامعدله عشرة اشخاص مستخدما الفاس والسكين او الحرق حتى الموت؟ كان احد الحلول هو ادخال هؤلاء الاطفال الذين اصبحو اليوم فى سن المراهقة الى معسكرات إعادة تأهيل بعد اجراء محاكمات سريعة وشكلية لهم . فى هذه المعسكرات يتلقون مبادئ التعليم ويتعلمون حرفا تساعدهم في مستقبل حياتهم ويخضعون لمساعدة علماء نفس يجالونون



ازاحة الماضي الأسود عن ذاكرتهم. وواضح ان من ادخل الى المعسكر كان من فئة المحظوظين، إذ ما زال أغلبهم ينتقل مذعورا بين القرى ويختبئ في الغابات خوف الانتقام أو يتحول إلى قاطع طريق أو قاتل محترف. تلتقط عدسة الكاميرا شريطا من البشر يشبه خط النمل المتحرج وهو يسير على الأقدام عبر أراضٍ دمردت وبيوت أحرقت. هؤلاء هم بقايا قبائل التوتسي الذين قتل منهم أكثر من مليون شخص في غضون أيام قلائل. يحاول هؤلاء المنكسبون العودة إلى ديارهم المخربة بعد أن عانوا سنوات

التي لم يكتفوا على الحدود يعيشون على المساعدات الشحيحة للأمم المتحدة ويموت منهم المئات يوميا جوعا ومرضا. يرفض هؤلاء العائدون التحدث عن الماضي أو الانتقام بسبب ما جرى لهم. يقولون لمراسل القناة التلفزيونية "نريد أن ننسى الماضي.. نريد فقط أن نعيش بسلام... نريد العودة إلى ديارنا حتى وإن كانت مخربة ومحروقة، تظل أحسن من أرض الغريب". تنتقل الكاميرا إلى وجه طفل في أحد المعسكرات يجيب على سؤال المراسل لماذا قتلت الآخرين "أرأيت الكبار يفعلون ذلك. قالوا لنا هؤلاء

هذا البلد وهو يدمر. لديك الاموال لكنكم ترفضون المساعدة". اللقطة الختامية لهذا الفيلم الوثائقي تصور طفلا رضيعا يصرخ من الجوع يتبدل على خلفيته ثدي أم ضامر وخال من الحليب.



الأوائل

هذا برنامج اسبوعي بثته قناة الأوائل، وهي جزء من شبكة راديو وتلفزيون العرب ART التي يمتلكها الملياردير السعودي الشيخ صالح كامل. ومنذ سقوط النظام الدكتاتوري في العراق وهذا البرنامج يخصص معظم حلقاته لقضية العراق. تتمتع مقدمة البرنامج بقدرة عربية على ترديد شعارات حفظناها عن ظهر قلب من الستينيات من قبيل "من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر" و"الأمّة العربية والمصر الواحد" و"فرسان الأمة وتقيانها". والاعتراض هنا ليس على الشعارات وإنما على ترديدها بطريقة استعراضية فجّة. ولما كان العراق جزء من الأمة العربية ومصيره يهم كل فرد فيها بل ويتقدم في هذه الأيام على كثير من فضايا الأمة ومشكلاتها المستعصية تضيف مقدمة البرنامج نفرا من فرسان النصر ومقابل الغداء من أمثال سيد قطب وحمدلين صياحي وآخرين ممن تضوع من أزدانهم روائح عطايا صدام من أموال وشقق وسيارات مرسيدس ومجوهرات. وبين ترديد الشعارات والانفعال والضرب على المنافذ تعبيرا عن

حرقتهم على مصير العراق، يأخذ هؤلاء بالضرب على أوتار الفتنة الطائفية والتحريض على قتل العراقيين الذين انكروا جميل صدام حسين ونظامه. ومن أندر من سيد نصار على الحديث عن فارس الأمة النبيل" الذي وصفه بأنه "دكتاتوري عادل رفع العراق إلى مصاف الدول المتقدمة" وكيف ان غيباب حكمته وحنكته السياسية ادخل العراق في متاهة الحرب الأهلية بعد ان أوقعه في براثن الاحتلال. ودعمًا من البرنامج لما قاله السيد نصار نشاهد شريطا يضم لقطات لصدام حسين وهو يعبر عن حنانه باحتضان الأطفال وتقبيليهم، وعن بأسه برقع بندقيته إلى الأعلى وهو يطلق الرصاص، وعن عرويته وهو يمك سيف عربي ولقطات أخرى عديدة تمثله وهو في أوج سلطوته وجروته. وينتهي الشريط ليظهر على الشاشة (مانشيت) عريض يقول "ويظل الفتى التكريتي واقفا".

من يقف وراء هذا السدجل الإعلامي؟ أهى مقدمة البرنامج؟ أم القائمون عليه؟ أم الملياردير السعودي؟

"يعيش أهل بلدي" عنوان لديوان معروف للشاعر أحمد فؤاد نجم استعاره ليكون عنواناً لبرنامج اسبوعي يقدمه ويضيف فيه نخبة من الأسماء الفنية والثقافية في مصر. يتحاور ضيوف هذا البرنامج حول ظاهرة ما عبر استرجاعات للماضي وتحليل للحاضر. خصص أحمد فؤاد نجم حلقتين من برنامج تناولنا تاريخ أم كلثوم الفني والشخصي ضيف فيهما عدداً ممن عاصروا أم كلثوم وعرفوها عن قرب سنوات عديدة ومنهم من عمل معها في فرقتها الموسيقية. كانت في مقدمة الضيوف د. رتيبة الحفني هي خبيرة موسيقى ومغنية أوبرا سابقة وعميدة معهد الموسيقى العالي حاليا. استذكر الضيوف تاريخ أم كلثوم وكيف تحولت إلى ظاهرة موسيقية معاصروها على المساس بها خاصة الصحافة فلقد كانت الفنانة الوحيدة في تاريخ مصر التي لم يتناول الإعلام حياتها الشخصية أو الفنية أو يقارنها بأي من معاصريها من المغنين وفيهم إعلام لا يقلون شأنًا عنها مثل محمد عبد الوهاب الذي تداولت سيرته الشخصية الصحف والمجلات الفنية وهاجمه بعض النقاد بسبب نزعة التجديدية في الموسيقى، إلا أم كلثوم

التي لم يكتب النقاد في حقها سوى المديح إذ انها كانت "سيده ذات سطوة ونفوذ وكلامها أمر يمشي على الكل" على حد تعبير الحفني. استذكرت هذه الأخيرة كيف كانت أم كلثوم متوجسة من صعود نجم اسمهان لأنها أحست انها كانت الوحيدة التي يمكن ان تنافسها، وانها غضبت سنوات على محمد القصيحي لأنه

أعطى اسمها أغنية "يا طيور" برغم أنه عرض الأغنية أولاً على أم كلثوم لكنها رفضتها لأنها كانت تخشى الغامرة وتردد في الإقدام على أي تغيير في نمط غنائها الذي عرفت به. على العكس من اسمهان التي كانت مندفة نحو التجريب والغوص في تجارب فنية جديدة قد تكون متقدمة على عصرها. ومن الأسرار الشخصية لحياة أم كلثوم التي ضرب الإعلام حولها ستاراً كانت زيجاتها وعلاقتها العاطفية المتعددة. فلقد ارتبطت باسم أحد أفراد الأسرة المالكة في مصر ثم تزوجت الملحن محمود الشريف الذي تزوجا بعد أن هجر زوجته وأولاده من أجلها. ثم تزوجت مصطفى المرموق وهو مصطفي أمين وهو زوج دام أحد عشر عاماً يصفه ضيوف الندوة بأنه كان زوجاً رسمياً شرعياً لكن الصحافة لم تجرؤ على

الإشارة إليه برغم أنه كان حقيقة معروفة بالنسبة لعارفيها والمقربين إليها. وناقش البرنامج بهذه المناسبة السلسل الذي أنتج عن حياتها وأغل هو الآخر جوانب كثيرة من حياتها الشخصية وهو أمر لا يخدم صدقية العمل الفني الذي أرخ لحياة واحدة من أكثر الفنانين العرب شهرة. لعل أحمد فؤاد نجم نفسه كان الوحيد الذي تجاسر على مهاجمة أم كلثوم، وكانت في أوج نفوذها، يوم أطلق قصيدته "كلب الست" التي سرت على السنة المثقفين وطلبة الجامعات والعامّة على حد سواء برغم أنها لم تنتشر. وتلا أحمد فؤاد نجم قصيدته كاملة وقد تناول فيها حادثة تتعلق بشاب رياضي فاده سوء حظه إلى المرور بجوار فيلا أم كلثوم فخرج إليه كليها ليمرّق سافه وقد اصيب على أثر الحادث بعاهة مستديمة. وحين رفع شكواه للقضاء قررت المحكمة غلق القضية "نظراً للخدمات التي قدمتها السيدة أم كلثوم إبراهيم لصبر". واستفز القرار الشاعر فكتب قصيدته الشهيرة التي ختمها بخطاب موجه لكلب الست يقول فيه لو أرادوا تشكيل وزارة للكلاب ستكون وزيراً فيها. ودخل أحمد فؤاد نجم على أثرها المعتقل.

العربية

في الثالث من أيار من كل عام يحتفل الصحفيون والمنظمات الصحفية باليوم العالمي لحرية الصحافة الذي اقرته الأمم المتحدة. ولهذه المناسبة قدمت (العربية) برنامجاً خاصاً استعرضت فيه تقرير منظمة (مراسلون بلا حدود) عن الوضع العالمي لحرية الصحافة في عام ٢٠٠٢. ضيف البرنامج من باريس (سيفيرين كاز) مسؤولة الشرق الأوسط في منظمة (صحفيون بلا حدود) التي أوضحت بأن لدى المنظمة ١٠٠ صحفي منتشرين في مختلف بلدان العالم وهم الذين يزودون المنظمة بالتقارير عن أوضاع الحريات الصحفية. ووصفت سنة ٢٠٠٢ بالنسبة لحرية الصحافة بأنها كانت سنة سوداء.